

السوريون في الولايات المتحدة

(٣)

حالتهم الاقتصادية

«تجارة المنوعات اليدوية» السوري تاجر متى استطاع وايتنا استطاع
 وطامل ان اضطرته الاحوال . فطرق معاشه في الولايات المتحدة تدور بالاكثر
 على محور واحد هو التجارة ومحور تجارته بالاكثر المطرقات النسبة وانواع
 الخرج والاشغال اليدوية والمستحدثات والملبوسات النسائية المتنوعة باليد
 ولقد تدرج اكثر التجار في نيويورك من مبادئ وضبعة كبيع «المخدوات»
 في حثائب يحملونها بايديهم ويجولون فيها بين البيوت الى فتح دكاكين صغيرة في
 شارع وشنطن الى استئجار مكاتب وغرف لعرض بضائهم في بنايات شاهقة هي
 قصور اكثر منها بنايات في الاثنيو الخامس اجمل واشي سوق للبيعات في اميركا
 حيث هم الآن اكبر تجار في الاشغال اليدوية النسبية ولاسيما ما يسمونه المديرا
 والتلين ويكادون بمشكرون هذه الاصناف مع صنف الكيمونو (١)

وامامي الآن وانا اكتب هذه السطور عدد من اعداد جريدة السائح الاخيرة
 وفيه ٣٦ اعلانا نشرها السوريون الاميريكون منها ١٢ اعلانها عن المستحدثات
 والمطرقات اليدوية. واليك مثالا من هذه الاعلانات يدل على تعدد الاصناف
 التي يتعاطونها من هذا القليل ننقله بحروفه :

« نعلن قرباننا الكرام اننا افتتحنا عملاً في مانيليا بمزائر القليلين للمطرقات
 الاندور (Underwear) النسائية من قفان نوم وانقلب شحير
 (envelopechemise) وكورست كفر (Corset Cover) كذلك ثياب ولادية
 من انحف الزمات وابدعها. ايضاً افتتحنا عملاً في بوكوهاما باليابان لبيع البضائع
 اليابانية من درون ورك (drawn work) ورنيسانس (renaissance) واغطية
 وسكارات (Scarfs) واغطية فرش . وعندنا دائماً كمية كبيرة من بضائع

(١) الكيمونو جلباب من حرير دقيق تنسج به المرأة في منزلها قبل ان ترتدي ثيابها اللطيفة
 عنقبة الصوف وهو ملبوس ياتي الاصل ادخله اليابانيون للولايات ومنهم من امتد الى ايدي السوريين

الكطورك (Cut work) مع فيله (Filet) وموزايك (mosaic) ومديرا وكلوني وفنيس وارد معاملنا بأسعار متهاودة »

وبين الاعلانات المدرجة في هذا العدد اعلان يشير فيه صاحبه الى معامله في فنشال بمديرا وفنيس بايطاليا ولايوي بفرنسا ويوكوهاما باليابان وسنغاي بالصين وآخر يزيد على كل هذه البلدان بلاد الفلبين

ومن اطلع على ما تنشره المجلة التجارية السورية الاميركية في وصف التجارة السورية في المهاجر الاميركية وما تقلب من ادوار التطور على البيوت السورية التجارية الممتازة بنجاحها ايقن ان السوري الاميركي يسجل في تاريخ المهاجرة والاستعمار صفحة لم يخط احد من السوريين ابهى واجيد منها وربما لم يسبقه قوم آخر سوى ابناء عمه الشعب اليهودي . ولدى التعمق في سير التجار المتفوقين الذين اتت تلك المجلة على ذكرهم يتبين انه يمكن تحليلها كلها وارجاعها الى امر واحد وهو ان الشاب كان يصل الى نيويورك فقيراً معدماً فيبيع « بالكشة » او « الجزدان » ثم يتعلم الانكليزية ويمدى بجرثومة الحياة الاميركية فيستخدم في محل تجاري او يفتح حانوتاً صغيراً في شارع ضيق ثم يتوسع في العمل وينشئ شركة تجارية في شارع كبير وينمو نمواً تجارياً مطرداً فيفوز فوزاً باهراً بفضل اجتهاده وامانتة . تلك هي الدرجات في سلم ترقى كل واحد تقريباً من المهاجرين المتأخرين

﴿ معاملهم ﴾ السوريين معامل يصطرون فيها كل اسنان الكيمونو التي يتماطرون بيها . ولهم منها في مدينة نيويورك وماجاورها خمسة وثلاثون معبلاً وهم ايضاً يملكون الجانب الاكبر من المطرقات التي يتاجرون بها لاسيما ما كان منها من نوع المديرا والفلبين . وكان في العام الماضي احد المحال التجارية السورية رسم خارطة العالم في اعلانه ليبين مواقع معامل الجغرافية . ويظهر من تقرير رفعة قنصل اميركا في مديرا بتاريخ ٢٩ ت ٢ سنة ١٩٠٩ ان صناعة الخرج في تلك الجزيرة اصبحت في يد السوريين الاميركيين بعد ان كانت قبل الحرب في يد الالمان . ثم قال ان في مديرا خمسة وثلاثين معبلاً واربعة عشر منها اصح اصحابها سوريين ﴿ البائع الدوار ﴾ هذا هو حلقة الاتصال بين التاجر المقيم في مخزنه والمرأة التي تبتاع البضائع في بيتها . وهو الاس المتين المشيد عليه بناء التجارة

السورية بأسرها. وله الفضل الاعظم على نشوء التجارة السورية وتقدمها. ولطالما نظر اليه السوريون والاميريون نظراً لاجتهادهم والاحتقار وربما كان لهم فيما مضى بعض المذر عند ما كان البائع يقف امام الشاري وهو جاهل لفتته وعوائده فيظهر بمظهر المستعطي. اما الآن فقد اصح بائع الكشحة كمتعمد او ممثل للمحال التجارية يحمل بضائع خفيفة هي بالاكثير من نوع المساطر (العينات) ولا يقضى المنازل على غير هدى بل له زباين يعرفهم ويعرفونه ولا يستنكفون من حسابته صديقاً لهم. ومن هذا القبيل الصورة التي ظهرت حديثاً في الجرائد السورية الاميركية وفيها رسم الرئيس هاردينغ والى جانبه رجل سوري زائر فان بعضهم أكد لي ان السوري بائع كان يتردد على بيت هاردينغ لما كان عضواً في مجلس الشيوخ

﴿ السمانه او البقالة ﴾ يقيمون غالباً في مدن الداخلية وتعاطون مع الخضر والاعنار ولوازم الطبخ والاكل وفي بعض الاحيان المرطبات والحلويات وهم في ذلك ينافسون الايطاليين واليونان. وفي مدينة فلنت برلاية ميشيغ (Flint, Mich.) تاجر درزي له خمسة عشر محجرة ومركته الثابتة بين بقائه الولايات ومن المدن التي يكثر منها البقالة السوريون مدينة ديترويت ويقال انها تحوي على ٣٠٠ تاجر منهم

وربما لم يكن بين العالم الجديد مدينة تفوق حلوياتها مدينة فيلادلفيا. والغريب ان من اشهر معامل تلك المدينة مملأه صاحب سوري له نحو اثني عشر محجرة للبيع بالتفريق

﴿ المصدرون ﴾ كان من نتائج الحرب العظمى ان انقطعت العلاقات التجارية بين الجمهوريات الاميركية الجنوبية وبين البلدان الاوروبية الغربية واخصها ألمانيا التي كانت تعتمد عليها تلك الجمهوريات في استيراد بضائعها. فحوال تجار اميركا الجنوبية انظارهم نحو الولايات المتحدة ووجدوا في التجار السوريين المقيمين بينهم خير وسيط لتعرفهم بسوق الولايات المتحدة عن يد ابناء جنسهم فيها وبذلك تمت حلقة الاتصال بين السوق التجارية في اميركا الجنوبية والسوق التجارية في اميركا الشمالية. وللحال انشأ عدد من سوري الولايات المتحدة مكاتب للعمولة وتصدير البضائع كان لهم من ورائها ارباح باهظة

ويقول العارفون ان ثروة السوريين في الولايات المتحدة تناعفت في اثناء الحرب . ولا نبالغ اذا قلنا ان الجالية السورية النيويوركية أصبحت اغنى الجاليات السورية في المهاجر . اما بعد الحرب حدث اضطراب مالي وجود سناعي تجاري في السوق الاميركية وهو رد فعل للسعة العظيمة التي تمتعت بها الولايات المتحدة بما رافقها من الاسراف والاستهانة بقيم الاشياء . ولا بد ان تستمر هذه الايام العصيبة سنة او اكثر حتى يستعيد العالم توازنه ويألف الحالة الجديدة الناشئة عن اضرار الحرب

العمال * قل من السوريين من يستخدم في المعامل والمصانع الاضطراباً واكثر هؤلاء يشتغلون في معامل القطن والصوف في نورث وفال رثر ولول ونيو برفرد من اعمال ماستنوستس وفي معامل الاواني الفضية والنحاسية والساعات والاسلحة في توربي وبردجبورت ونيوهافن من اعمال كوتنيكت والحديد والفولاذ في بربغ بسلقانيا والسيارات (الاتوميلات) في ديترويت (مشيغن) وكليفلند (اوهيو) والحريز في بطرسن وهيوكن من اعمال نيوجرزي . وفي زمن الحرب وضعت الحكومة يدها على اكثر هذه المعامل وحوّلتها الى مصانع اسلحة وذخائر ورفعت اجور العمال الى الحمة ريات فا فوق في النهار تازداد بذلك عدد النعمة من السوريين عن الحالة الطبيعية

ويظهر ان العمال السوريين يتفوقون في الاشغال التي لا تستلزم اجاماً كبيرة من مثل غزل الحرير وحيآكته فانهم يتقاضون في هذه الصناعة اجوراً تزيد عن اجور غيرهم من العمال . وما جاء في تقرير لجنة للمهاجرة (٢) ان احد اصحاب معامل الحرير في نيوجرزي قال بوجود « غريزة الحياكة » في السوريين وهو يفضلهم كل من سواهم من الشعوب

ويقدر بعضهم ان ثمانين في المئة من سوربي ومث هيوكن وبترسن (نيوجرزي) حآكة حرير

اما عدد السوريين الذين يشتغلون في المقالع والخفريات والسكك التي تحت الارض فانه دون اقليل . وربما كان السبب في ذلك تعودهم عيشة الخلاء والهواء

التي في بلادهم بحيث يصب عليهم العمل في جوف الارض . على ان اراد آ منهم يشتغلون في مناجم الفحم وآبار التعرول في ولايات وست فرجينيا وتكساس واكلاهوما . وهم على العموم يستكفون من الاغفال الشاقة كبناء الجسور وتخطيط الطرق وتشييد البنايات الى غير ذلك من الحرف التي يقبل عليها الايطاليان الى ان يكادوا يحتكرونها . والسوري الوحيد الذي رأيتُهُ ويده معول كان ساملًا على خط حديدي لشركة طحن كبيرة في مدينة منيابوليس (ميناسوتا)

﴿ الزراعة ﴾ الاجانب عمومًا والسوريون خصوصًا يأقنون من الاعمال الزراعية في الولايات . ولذلك اسباب بينة اهمها اقتراد المزارع الاميركية ووحشتها وبعدها بعضها عن بعض وعن اماكن العبادة والحاجة الشديدة لمعرفة اللغة الانكليزية فيها والحاجة الى رأسمال في استئجارها او شرائها وتعذر وجود المال كل المألوفة فيها . وكثيراً ما أنفى الوطنيون باللائمة على الاجانب لاجتماعهم وازدهارهم في المدن التجارية والصناعية ولاعراضهم عن العمل في الاراضي الفسيحة المهمة الخالية من السكان ونسبوا لهم الجهل وقصر النظر . ولا شك في ان بعض كتبهم كانوا بذلك مدفوعين بعامل الحسد من نجاح الغرباء بينهم في التجارة والصناعة وما بنتهم الشديدة للوطنيين

رغم ذلك وجدت بعد البحث ان عالم الزراعة ليس كنه خالياً من الايدي السورية العاملة ففي خطأ أونيدا نيويورك خمسة وعشرون في المئة من المزارعين سوريون . وفي نورث كارولينا عدد منهم يشتغل بزراعة القطن وفي فرجينيا زراعة التبغ . ويكثر عدد الفلاحين السوريين في اواسط الولايات المتحدة حيث يزرعون الحبوب وفي غربها حيث تكثر الخضرة والبقول والفواكه . ولقد ذكرت سز هوطن في سلسلة مقالات نشرتها في مجلة الصرافاي (٣) ان في ولاية نورث كارولينا وحدها لا اقل من ثمانمائة مزرعة سورية . وفي نبراسكا وكنتاس ومنتانا وويومنج ووشطن من الولايات القريبة آلاف غيرها

﴿ حرف شتى ﴾ قلنا ان معظم السوريين الاميركيين يتعايشون من التجارة وبعضهم من الصناعة والزراعة والحال انه ليس من سبيل المعاش لم تطأه ارجل

السوريين ولا من باب التلازاق لم تطرقة ايديهم قفصهم الصراف والمدين والمضارب ومنهم البوليس والجندي والبحري والاسكاف والحداد ورائق العربات وبينهم القس والمعلم والصحافي والمحامي والطبيب - الى آخر ما هنالك مما لا يقع تحت حدة او حصر. وعثرت مرة في نصف ليل من ليالي الشتاء القارسة في محطة القطار في النبي على حارس ليلي من بيروت وفي ديموك (ابوا) على دمشقي يدهن خشب القطارات

ومن امتاز بينهم في الفنون الجميلة موسيقي عرف في طول البلاد وعرضها وحاز شهرة وطنية بادخاله الانغام العربية الى العالم الغربي. ومن منظوماته اشهدة « لاجلك يا اميركا » (For Thee, America) اختارها المجلس التهديبي في نيويورك وغيره من المجالس التهديبية في البلاد وجعلوها الاغنية الرسمية لتلامذة المدارس الصومية. وفي العام الماضي ادمش قتي سوري لم يتجاوز العقد الثاني من سنه موسيقي نيويورك بتفنته وبراعته على البيانو في حفلة اقامها في قاعة الموسيقى الكبرى للمدينة. ومنذ ثلاثة اعوام عرضت صور رسام سوري في متحف شوبر على الاقيو الخامس من مدينة نيويورك واستوجبت اعجاب المصورين الفنيين من الاميركان

وفي اللائحة التالية بيان لانواع الحرف التي يحترفها الاعضاء العاملون في جمعية سورية واحدة في نيويورك ومنها يستدل على التنوع المتباين في الاعمال التي يباشرها قومنا هناك :

٦	مهندسون	٢	محامون	١	تجار
٣	مسكة دقار	٢	معدرو بضائع	١	اطباء
٣	مطعون	١	قس	١	اطباء اسنان
٢	صيادلة	١	ممثلو شركات الحياة	١	تلامذة

فمجموع عدد الحرف ١٢ ومجموع عدد الاشخاص ٢٤

﴿ مستوى المعيشة ﴾ السوري اينا كان ينفق على اكله اكثر مما ينفق على فرش بيته ولبسه. وكتاب الطبخ الذي سطر فيه عيسو اول وصفة اضيق العدس لم يزل بين يدي السوري الى اليوم يرافقه ابن حنن وكيف توجهه فهو يهون.

عليه التلبس بموائد القوم الذين يسكنهم ومجاراتهم في كل شيء ما عدا الاكل . ومن ما كلفه التي لم يزل محافظاً عليها منذ ايام سليمان الحكيم آكلة الكبيبة التي كان سليمان مولعاً بها على ما يظهر والا فكيف خطر في باله هذا التصور اذ قال

« ان دقت الاحق في هاون بين السميد بمدق لا تبرح عنه حماته » (٤)
ويهم السوري بالاجال الظهور بظهور لائق فهو من حيث اللبس لا يقل من يوازيه من سائر الامم في الطبقة الاجتماعية . اما فرش بيته وترتيبه فليس عموماً على ما يجب ان يكون . وما يصرفه على المليات والملاهي قليل لا يعتبر وفي مدينة نيويورك العظمى لا اقل من اثني عشر مطعماً يجدها فيها السوري ما يجد في اي مطعم كان من مطاعم سوريا ومصر

« عدد المنتجين في العائلة » المسؤولية المالية هي في الدرجة الاولى لمقاة على طاق الرجل الا ان المرأة كثيراً ما تشاركه في حملها . وبذلك تختلف المرأة السورية المهاجرة عن اختها المتخلفة . واني اعرف بيوتاً تقوم النساء فيها باود العائلات وذلك باستخدامهن في معامل الخياطة والتطريز او في تصايف البيع « بالجزدان » او بمسك الدقار والشغل على الكتابة (typewriter) . ولا انسى امرأة سورية عرضت علي مرة شراء فضاء للعائدة مقروش على يدها حال نزولي من القطار المرتفع (الذي يسير فوق الاسواق) في ليلة مثلجة قارسة البرد من ليالي اسبوع عيد الميلاد وهي واقفة جامدة في اسفل درج المحطة بينما آلاف المارة كانوا يترامسون الى بيوتهم وهم ملتفون بالاردية الصوفية الثقيلة اما الاولاد السوريون فانهم في الغالب يواظبون على حضور مدارسهم وفي ساعات الفراغ يبيعون الجرائد في الشوارع او يباشرون اعمالاً اخرى في المخازن لا تقتضي استعداداً خصوصياً وعناء . ويظهر من تقريبي (٥) وضعت لجنة المهاجرة بعد درسها احوال اولاد المهاجرين والوطنيين دون السادسة عشرة في سبع مدن وهي نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وبوسطن وكليفلند وبفالووملواكي ان ٢٦٢ بالمئة من الاولاد السوريين في العسل و٣٦٣ في البيت و٩٤٥٥ في المدرسة بينما

المعدل من المهاجرين غيرهم ومن الوطنيين ٧٦١ بالثلاثة في العمل و ٨٦٦ في البيت و ٨٤٠٣ في المدرسة

التوفير \rightarrow مقدرة السوري على الاقتصاد والتوفير امر اجمع عليه كل من ظالمهم واستوجب ثناء كل من درس احوالهم

ولكثير من المعاهد الاميركية كجالس التهذيب وجمعيات الشبان والشابات المسيحية موظفون يطلق عليهم لقب مدبري الاجتهادات او كتبة التامرك وظيفتهم مساعدة الاجانب على تحصيل اللغة الانكليزية ومبادئ المدنية الاميركية وطرق الحصول على رخصتها ومساائل تدبير المنزل الى غير ذلك مما يسهل على التقرب امر الاندماج في المجتمع الجديد . ولقد كثر عدد هؤلاء الموظفين في اثناء الحرب لما شعرت الامة الاميركية بضرورة اندماج كل الاجانب فيها حفظاً لسلامتها وكيانها . ولقد استجوبت كتابة كل من كان من هؤلاء يشتغل بين السوريين فكانت شهادة الجميع ان السوري عامل نشيط متعبد موفري بحب المعيشة البيئية ولا يميل الى اللهو والاسراف . فتتأخر ذلك ظاهرة في قلة عدد الذين بلغاؤون منهم الى الجمعيات الخيرية لطلب المعونة . ففي القسم الشرقي من مدينة نيويورك حيث يمشى البؤس وتكثر الشرور فرع جمعية الشبان المسيحيين مخصص للفقراء والمعدمين والسكبرين يترددون اليه للاكل والثوم والخبز والاعمال . ولقد كد لي سكرتيره ان في تاريخ ذلك المهد لم يدخله رجل سوري . وبعد محاربة المنشآت الخيرية التي انشأتها الحكومة وجمعيات الاحسان في ولاية نيويورك تبين لي انه لم يكن في ربيع العام الفئات من السوريين احد عالة عليها . وهذا تريب فترة من جواب جمعية الاحسان النيويوركية « يتدل من تقاريرنا اننا في السنة التي انتهت في ٣٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٧ كنا نعطي تسعة رجال وثلاث عشرة امرأة من الارمن والسوريين . ورجح ان اكثرهم كانوا ارمناً لا سوريين »

ومن خصائص السوري الاميركي انه لدى الحاجة يفضل الالتجاء الى بني جنسه على الالتجاء الى الغير لذلك نجد تقارير جمعيات الاحسان الاميركية خالية كلها تقريباً من اسمه